والفلاح هو الفوز بالمقصود دا الغنيمه هذا هو الكلام في حقيقة التوبه ودليلها والاخلاق في وجوب
التوبه عن المعاصي وان ورد ان بعضها يكفر اجتناب الكبائر ويكفرها الطاعات فكلها معاص
لله تعالى قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان الله سبحانه يغفر الكبير فلا تقنطوا ويعذب على
الصغير فلا تغتروا وقيل لا كبيره مع الاستغفار ولا صغيره مع اصرار ومدع قوم ان
التوبه هي الرجوع عن فعل مثل ما فعله العبد فيما مضى من الزمان في المنزله لا في الصوره ومعنى ه
في المنزله لا يخلو اما ان يريد في درجة الذنب في الكبر والصغر فهذا فيه بحث وان اراد ان يريد
الرجوع عن الذنب مطلقا وهذا مباين لحد التوبه الذي هو الرجوع عن الذنب الماضي والاشتغال
بما يمحوه من الندم ولهذا كان الندم توبه يعني من معظم اركان التوبه فان التوبه الرجوع عن
الذنب في الحال يعني مفارقته والندم عليه والعزم على ان لا يعود ومفارقته خلاص من ضرره
في الحال والندم عليه يمحو ما فرط منه في سالف الزمان والعزم على ان لا يعود اليه حفظه
في الاستقبال وما صار اليه هذا القائل اقرب الى التقوى منه الى التوبه فان التقوى هي اتقا
الزلل في الاستقبال وكما صار اليه هذا القائل اقرب الى التقوى وان لم يلابس العبد شيئا منه
واذا حمل قوله في المنزله لا في الصوره على مطلقا لا ثم لم يكن العبد تائبا عنه حتى يتقي ساير الذنوب
ومتى وقع في شي منها لم يكن العبد تائبا وهذا قد ذهب اليه قوم وزادوا في ذلك فقالوا لو كان
توبته من الله صحيحا لم يخالفه في شي من الواجبات ولا ارتكب المحرمات وهذا نوع باب
العصمه بل الصحيح ان العبد يتوب من بعض ذنوبه دون بعض فما تاب منه سلم من ضرره
دنيا واخرى وما لم يتب منه فهو مصر عليه وكذلك لو عاد فيما تاب منه وتكرر ذلك منه
وتاب في كل كره لم يكن عوده مفسدا لتوبته الاولى لان كل ذنب يمحوه توبته فان عاد
ووقع في ذنب جديد وان تاب منه تاب الله عليه وهذا كله يجري في التوبه الواجبه
والمندوبه واما اداء المظالم والحقوق التي يجب تداركها ففيها تفصيل فقهي ياتي في غير هذا
الموضع ان شا الله تعالى قال الامام رضي الله عنه التوبه اول منزل من منازل السالكين واول مقام
من مقامات الطالبين وحقيقة التوبه في لغة العرب الرجوع يقال تاب اي رجع فالتوبه
الرجوع عما كان مذموما في الشرع الى ما هو محمود في الشرع وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الندم توبه قال ارباب الاصول من اهل السنه قالوا لا يتم شرط التوبه حتى يصح ثلاثه اشيا
الندم على ما عمل من المخالفات وترك الزله في الحال والعزم على ان لا يعود الى مثل ما عمل من المعاصي
فهذه الاركان لا بد منها حتى تصح توبته قالوا وما في الخبر ان الندم توبه انما نص عليه
السلام على معظمه كما قال الحج عرفه اي معظم اركانه عرفه اي الوقوف بها لا انه لا ركن في الحج
سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم اركانه الوقوف وكذلك قوله الندم توبه اي معظم اركانها
الندم ومن اهل التحقيق من قال يكفي الندم في تحقيق ذلك لان الندم مستتبع الركنين الاخرين

فانه

فانه يستحيل ان تكون نادما على ما هو مصر على مثله او عازم على الاتيان بمثله هذا
معنى التوبه على جهة التحديد واما جمال قال الشارح رضي الله عنه قوله التوبه اول منزل
من منازل السالكين يعني التوبه الواجبه عن المحرمات والا فقد بينا ان التوبه في كل مقام تجري
وان لم يكن ذنب اذا كان معناها الرجوع الى الله تعالى فكل راجع الى افضل من حاصل فهو تائب
لذلك ساير المقامات فيها الواجب والمندوب وان تعالى في الدرجات واما قوله من اهل التحقيق
من زعم ان الندم يكفي لانه مستتبع الركنين الاخرين فليس بصحيح فان الذي يستتبع الركنين
هو العلم بقبح الذنب وسوء حال العبد في ملابسته ما يمقته ربه عليه واذا علم ذلك وقوي خوفه
من عقاب ربه دنيا واخرى فارقه في الحال واذا فارقه في الحال لقبحه عند ربه ندم على ما كان
منه في ماضي الزمان وعزم على ان لا يعود الى مثله في الاستقبال والذي يستتبع الركنين
هو المفارقه في الحال لقبح ما هو عليه عند الكبير المتعال وقوله الندم توبه اي معظم اركان
التوبه صحيح لان المفارقه انما تخلصه من الذنب الذي هو عليه في الحال والعزم على ان لا يعود
تحفظه عن ضرر ما يفعله بعد والذي يمحو الاثار القديمه والزلات المتقدمه فيما بينه
وبين ربه هو الندم وبهذا الاعتبار كان معظم اركانها اي منفعه ومحو الماضي من الزلات
وبهذا الاعتبار كان الحج عرفه وان كانت اركانه اربعه وهي الاحرام والوقوف والسعي والطواف
وانما كان الوقوف بعرفه اعظم اركانه لما يمحو الله تعالى من الزلات ويضاعف فيه من الحسنات
وتنزل البركات فهذا كان معظم اركان الحج قال الامام رضي الله عنه فاما على جهة الشرح والابانه
فان للتوبه اسبابا وترتيبا واقساما فاول ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفله ورؤية العبد
ما هو عليه من سوء الحاله ويصل الى هذه الجمله بالتوفيق للاصغاء الى ما يخطر بباله من زواجر الحق
سبحانه بسمع قلبه فان الخبر واعظ الله في قلب كل امرئ مسلم وفي الخبر ان في بدن المرء لمضغه اذا
صلحت صلح جميع البدن واذا فسدت فسد جميع البدن الا وهي القلب فاذا افكر بقلبه في سوء ما يصنعه
وابصر ما هو عليه من قبيح الافعال سنح في قلبه اراده التوبه والاقلاع عن قبيح المعامله فيمده الحق
سبحانه بتصحيح العزيمه والاخذ في جميل الرجعى والتاهب لاسباب التوبه فاول ذلك هجر اخوان
السوء فانهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم ولا يتم ذلك
الا بالمواظبه على المشاهد التي تزيد رغبته في التوبه وتوفر دواعيه على اتمام ما عزم عليه مما
يقوي خوفه ورجاه فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الاصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال
فيقف عن تعاطي المحظورات ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزله في الحال
ويبرم العزيمه على ان لا يعود الى مثلها في الاستقبال فان مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى
عزمه فهو الموفق صدقا وان نقض التوبه مره او مرات وحمله ارادته على تجديدها فقد يكون
مثل هذا ايضا كثيرا فلا ينبغي قطع الرجا عن توبة امثال هؤلاء فان لكل اجل كتابا

عن ابي

Copyright © King Saud University